اخبار العالم الاسلامي

﴿ المقالة الثانية من المقالات الروسية عن تركستان ﴾

تلك ترجمة المقالة الاولى من مقالات سياسة عدم الالتفات التي تنشر في جريدة نوفي فرمية لحث الحكومة الروسية على مقاومة تعليم مسلمي تركستان ، وأما المقالة الثانية فملخصها ان مدارس التتر لم يقبل عليها مسلموا تركستان في أول الامر وبعد تبانها عشر سنين نالت حظوة قسم كبير منهم ، وتألفت في مدينة طاشقند لجنة غير رسمية من المسلمين لادارة تلك المدارس ، وأخذت تبث سلطتها ، وعمال الحكومة الروسية لم يلتفتوا الى ذلك وهو بمثابة نظارة معارف غير رسمية تمهد طرق التعليم وتستحضر له الكتب والمعلمين وقصدها نشر مذاهب (الجامعة الاسلامية) في تركستان فهي لذلك توجه نظر الشبان الى العالم الاسلامي ولاسيما تركية ، وكتب الدراسة تعين على ذلك ، ففي كتب المطالعة مسائل في المملكة التركية وبلادها المشهورة ، ومثلها في دروس التاريخ والجغرافية . والمعلمون على هذا الرأي وهم من تتر قزان وأورنبوغ ينفثون روح الاسلام الذي أخذ ينهض من جديد ، ويلبسون الطرابيش التركية الحمراء ليكونوا ذوي مهابة في أعين تلاميذهم ، وهم من أصحاب المدنية ، وقد باتت هذه المدارس بجدهم في طاشقند وحدها عشرين مدرسة قبل انتباه الحكومة ، وكذلك كان في خوقند زهاء هذا القدر من المدارس قبل تنبه الحكومة

بعد تنبه عمال الحكومة تحيروا ولم يقوموا بالواجب وهو منع معلمي التتر من تعليم مسلمي تركستان ، وبعضهم تمكنت تلك اللجنة غير الرسمية للمعارف أن ترسل بعض تلاميذها النجباء الى الآستانة ليستمدوا خدمة بلادهم اذا رجعوا اليها ، فيوجد مدارس في تركستان للتتر فوق مدارس التتر قبل أن يستقر رأي عمال الحكومة هناك على أمر ويخرجوا من مضيق حيرتهم

أهم مقصودون فيما يعاملون به تلك المدارس يقولون : أنعدها دينية كأنها ذات رخصة ؟ أم خصوصية تتغذ فيها نظام المكاتب الخصوصية ؟ أم نقفلها البتة ؟ أم الاسهل

أن نستمر على التغافل عنها ؟ . ومن العجائب ان (غيور غيفسكي) معاون نظارة المعارف لم يدخل تلك المدارس عند مجوالة في تركستان لئلا يكون دخوله اعترافا بها واقرارا لها فاذا كان رجال الحكومة متحيرين لا يدرون أي التربية يختارون لنابتة تركستان وهي مسألة من أهم المسائل فلا عجب اذا انتشرت فكرة الجامعة الاسلامية في هذه النابتة . نحن متحيرون حقيقة وأما غيرنا الذين لا يحبون أن يندغموا في الشعب الروسي اندغاماً يفنى فيه الضعيف في القوي فتضيع قوميتهم فهم يعرفون ماذا يعملون

المستنيرون من التتر قد أظهروا في الميدان برنامجا للتعليم يدافع عنه حزب المسلمين في الدوما (مجلس النواب الروسي) وقد أخذوا يهتمون بمسلمي تركستان . فيظهر أنهم يريدون جذب مسلمي روسية كافة اليهم ثم ينشرون فكرة الجامعة الاسلامية والجامعة التركية بينهم ، لذلك يريدون توحيد المسلمين كافة بالفسحة التركية العامة ، ويعرف مقدار اهتمامهم بما ذكر من عناية جناب مقصودف رئيس حزب المسلمين في الدوما (؟) (١) بالسفر الى تركستان والطواف في بلادها لرؤية فرقه الذين تتألف منهم قوته الحزبية في المستقبل ، نعم ان مقصودف لم يرجع منها بفوائد كثيرة وربما قل طمعه في الرياسة السياسية القريبة على مسلمي تركستان ولكن لا شك في نيله بعض مطالبه من ذلك السفر ، مثال ذلك انه لم يمض زمن طويل على سياحة رئيس حزب المسلمين في الدوما (؟) حتى جاء من أهالي طاشقند كتاب احتجاج على نظام نظارة المعارف الحديث لمدارس المسلمين وأمثاله ليقدمه الى الدوما ، وهو كتاب يبان حقوق مسلمي تركستان ، ولا شك في أن ذلك من تأثير سياحته ، ومقتبس مما قاله حزب المسلمين في الدوما ولم يسبق لمسلمي تركستان مثل هذه الحركة

سياحة مقصودف هذه ليست في نفسها أمرا مهما ولكن اطلاق حرية السياحة للذين يلقون فكرة الجامعة الاسلامية ويغرون المسلمين بها لا يمكن أن يكون مما يرغب فيه رجال الحكومة ومع هذا نقول آسفين أنه قد كثر الجوالون في تركستان أخيرا لاجل بث الافكار السياسية في المسلمين . والسائحون في آسية الوسطى ليسوا من التتر فقط بل يجول فيها كثير من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ومراقبة هؤلاء لا ترجى من عمال الحكومة ، المشغولين بوظائفهم ، فالترك يعرفون أولا الى سواد القوم ثم يمشون الهوينا الى مقصدهم على خط مستقيم . يرون ان تركية مملكة عظيمة

(١) لعل صاحب الجريدة يشير بعلامة الاستفهام الى أن مقصودف ليس رئيس حزب المسلمين

قوية ويخبرونهم بأنها ستستولي على البلاد الاسلامية من البحر الاسود الى بلاد الصين وتأخذها من الروس فتصير تركستان تحت حكم تركيا وكلهم اخوان في الدين وبهذه الوسيلة يجمعون الاعانات للاسطول . ولا ريب في أن فكرة الجامعة الاسلامية قد انتشرت بين كثير من المستنيرين في تركستان

العلوم والمعارف في تركستان ضئيلة جداً ومع ذلك ترى القراء يشتركون في الجرائد التركية وخصوصاً التي تتكلم في الاتحاد الاسلامي مثل « صراط مستقيم » و « تعارف مسلمين »

أهالي تركستان مولعون جداً بنشر الاخبار بينهم ولو كانت تافهة لا يؤبه لها كحركة عسكر الترك في حدود ايران أو تقوية الاسطول العثماني بعدة مدرعات من طراز دريدنوط ، وان هذه الاخبار التي تنتشر بسرعة زائدة لتؤثر في نظرهم السياسي

فما هي الوسائل التي يتخذها عمال الحكومة لاتلافي تلك التحريضات السياسية ؟ لاشك عندنا انه لا يمكن لاولئك العمال الجاهلين غير الاغضاء عن حياة مسلمي تركستان المعنوية لانهم لا يعرفون شيئاً منها الآن كما كانوا لا يعرفون شيئاً عنها من قبل ، وهذه سياسة مؤسفة ظهر عدم نفعها من تطبيقها على مسلمي (القرم) وأطراف (فولغا) — فالواجب اذاً الاسراع بتبديل الادارة هنالك وتفويضها الى الادارة الملكية وجعلها بحيث توافق منافع الحكومة واقتضاء الزمان . وقد كان صدر بذلك فرمان نال منذ عشر سنين اه

(المنار) هذا بعض ما كتب في هذه الجريدة الروسية الشبيهة بالرسمية في عاصمة هذه الدولة ، فليعتبر بها المسلمون كافة والعثمانيون عامة والمعنيون منهم خاصة ، فروسية التي سكتت لها الامم كلها عن معاملة المسلمين لا تريد أن يجتمع شملهم بتركيتهم ولا أن يتعلموا كما يريدون ولا أن يمر بلادهم سائح مسلم ، وأما الدولة العثمانية فهي على حرية الشعوب والملل فيها ووصولها الى درجة الفوضى وعلى السماح لكل ملة بأن تعلم كما تريد من غير أن تعرف الحكومة لها طريقة تعليمها وتقررها عليها — هي على هذا كله تتهم بهضم حقوق النصارى وتطالب بأن تجعل مدارس جميع الطوائف المسيحية الدينية وغير الدينية في حكم المدارس الرسمية تعتمد شهاداتها ويقبل المتخرجون فيها في وظائف الحكومة وأعمالها

هذا وانا نرجو أن تنبه هذه الوساوس التي يصرح بها القوم أفكار المسلمين الى ما يتهمون به وهو لم يخطر لهم على بال ، وقد ذكرت جريدة (وقت) التركية بعد نشر هذه المقالة مثلا فيه موعظة وعبرة للمستبصرين وهذه ترجمته

﴿ عرّاف ﴾

صادف عرّاف تاجرا في السفينة ذاهباً الى سوق كذا في بلد كذا فقال له : ألا أنبئك بما تفكر فيه الآن ؟ قال التاجر كم تأخذ على ذلك ؟ قال ما تسمح به حالتك قال التاجر لك ذلك . فأخذ العراف يده وجسّها وقال : انك تقول في نفسك اذا أعلمت افلاسي بعد الوصول الى السوق وصاحت الغرماء أصحاب الديون على عشرين في المئة فانني أربح ربحا كثيرا . فلما سمع التاجر هذا الكلام ظهر على وجهه أمارات التغير والاهتمام . فقال العرّاف : أما أصبت المرمى ؟ قال التاجر لا ولكنك نبهتني الى فكرة حسنة ما كانت في بالي اه

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

(١)

(ارسالية التبشير البروتستانية)

مقدمة المسيو شاتليه (١)

قلنا في سنة ١٩١٠ عند ما كنا نخوض على صفحات هذه المجلة في موضوع السياسة الاسلامية :

(*) عربها جريدة المؤيد عن مجلة العالم الاسلامي التي تصدرها في فرنسة (الارسالية العلمية المراكشية) ونحن ننقلها مع شيء من التصحيح والتصرف . وقد أنشئت هذه المجلة منذ خمس سنين وكانت مباحثها علمية ولم تكن تتعرض للمسائل السياسية الا قليلا وبعد احتلال مراكش ودخول بلاد فارس تحت النفوذ الروسي الانجليزي واعتداء ايطالية على طرابلس الغرب ظهرت بمظهر جديد تجلت فيه خطتها من التوسل بالعلم الى المقاصد السياسية والدينية

(١) المسيو شاتليه رئيس تحرير هذه المجلة هو أستاذ المسائل الاجتماعية الاسلامية ومن يكتبون فيها المسيو لويز ماسنيون المستشرق الذي أقام في بغداد سنين عديدة وقد كان في مصر منذ سنتين وهو من أصدقاء فقيدنا الشقيق السيد حسين وصفي وقد رثاه بتعزية أرسلها الينا ونشرت في الجزء السابق . ويكتب فيها كثير من العلماء الذين لهم اطلاع على اللغة العربية والعلوم والعادات الاسلامية واللغات الاخرى التي يتكلم بها المسلمون

صالح عضو رضا

« ينبغي لفرنسة أن يكون عملها في الشرق مبنيا قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتحقق من فائدته . ويجدر بنا لتحقيق ذلك بالفعل أن لا نقتصر على المشروعات الخاصة التي يقوم بها الرهبان المبشرون وغيرهم لان لهذه المشروعات أغراضاً خصوصية وليس للقائمين بها حول ولا قوة في هيأتنا الاجتماعية التي من دأبها الاتكال على الحكومة وعدم الاقبال على مساعدة المشروعات الخاصة التي يقوم بها الافراد فتبقى مجهوداتهم ضئيلة بالنسبة الى الغرض العام الذي نحن نتوخاه . وهو غرض لا يمكن الوصول اليه الا بالتعليم الذي يكون تحت إشراف الجامعات الفرنسية نظراً لما اختص به هذا التعليم من الوسائل العقلية والعلمية المبنية على قوة الارادة

« وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم الى حيز الفعل ليبث في دين الاسلام الاوضاع المستحدة من المدرسة الجامعة الفرنسية »

هذا ما ارتأيناه يومئذ وسيظهر ما يؤيده في الفصول التالية المتعلقة بارساليات التبشير البروتستاني الانجلو سكسونية والجرمانية الدائبة على العمل في العالم الاسلامي حتى أصبحت أهميتها تفوق بكثير ما اعتاد الفرنسيون أن يتصوروه لان النشاط وقوة الجأش التي يظهرها القائمون بأعمال هذه الارساليات تختلف عما تمتاز به أمتنا

وكنا منذ أمد بعيد نود أن نخوض في ذكر تفاصيل أعمال هذه الارساليات التي اشتهرت بخطتها ووفرة الوسائل التي أعدتها وتوسلت بها لمقاومة دين الاسلام

وحسبنا أن نستشهد بارسالية التبشير الكاثوليكية في بيروت لتكون موضوع التفكير والتأمل في فرنسة . إن (كلية القديس يوسف) اليسوعية التي تدير أعمالها هذه الارسالية لا تأثيرها على النشوء الفكري في المحيط الاسلامي ولكن التعليم الذي تنشره وتبثه كان له الحظ الاوفر من نشر الافكار الفرنسية في سورية والقطر المصري

نعم ان غاية المدرسة اليسوعية وطريقة التعليم فيها تختلفان عن غاية وطريقة المدرسة الكلية الفرنسية في غلطة (الاستانة) الا أن النتائج كانت متقاربة من حيث تعميم المبادئ والافكار التي تنشرها اللغة الفرنسية . ومن هذا يتبين لنا أن ارساليات التبشير الدينية التي لديها أموال جسيمة وتدار أعمالها بتدبير وحكمة تأتي بالنفع الكثير في البلاد الاسلامية من حيث انها تبث فيها الافكار الاوربية

الا أن لارساليات التبشير مطامع أخرى كما يتبين من الجملة الآتية التي أستخرجها من رسالة أرسلها الى من جزيرة البحرين (قرب عمان) في ٢ أغسطس سنة ١٩١١

حضرة القسيس المحترم صموئيل زويمر منشئ مجلة العالم الاسلامي الانجليزية ، وهو يبني فيها صروح آمال شاخة على أعمال المبشرين البروتستانيين قال :

« ان لنتيجة ارساليات التبشير في البلاد الاسلامية مزيتين — مزية تشييد ومزية هدم ، وبعبارة أخرى مزيتي تحليل وتركيب . والامر الذي لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير الذي أخذ يدخل على عقائد الاسلام ومبادئه الاخلاقية في البلاد العثمانية والقطر المصري وبلاد أخرى هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه . ولا ينبغي لنا أن نعتمد على احصائيات (التعميد) في معرفة عدد الذين تنصروا وسيما من المسلمين لاننا هنا واقفون على مجرى الامور ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الاسلامي من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفي » اه

ولا شك في أن ارساليات التبشير من بروتستانية وكاثوليكية تعجز عن أن تقتلع العقيدة الاسلامية من نفوس متعلميها أو تزعزعها ، ولا يتم لها ذلك الا بث الافكار التي تتسرب من اللغات الاوربية ، فينشرها اللغات الانكليزية والالمانية والهولندية والفرنسية تحكك الاسلام بضعف أوربة وتمهد السبيل لتقدم اسلامي مادي وتقضي ارساليات التبشير لباناتها من هدم الفكرة الدينية الاسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها الا بعزلتها وانفرادها ؟ !

أما ما يقوله حضرة مكاتبنا من وجود مئات من المسلمين اعتنقوا النصرانية سرا وهم ينتظرون فرصة للجهر بها فذلك أمر لا يمكننا البت فيه مع حضرة المكاتب . على انه ليس من الحوادث الغريبة أن يتنصر بعض أفراد ينتمون الى أصل فارسي أو هندي لان اختلاف النحل والاعتقادات في هذه العناصر هو من مزاياها الاجتماعية وكذلك الحال في الوسط السامي المتصل بالاصل العربي ولكن من النادر المستغرب أن تقع حوادث التنصر في بيوت السادات العلوية وبين البانان (الافغانيون الخلص الموجودون في بلاد الهند) ومشائخ الهند وجيرانهم الافغانيين والاتراك والتركمان والعرب الحقيقيين والبربر .

ولا ينبغي لنا أن نتوقع من أكثرية العالم الاسلامي بأن يتخذ له أوضاعا وخصائص أخرى اذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية اذ الضعف التدريجي في الاعتقاد بالفكرة الاسلامية وما ينتج هذا الضعف من الانتقاض والاضمحلال للملازم له سوف يفضي — بعد انتشاره في كل الجهات — الى انحلال الروح الدينية من أساسها لا الى تغلبها بشكل آخر

على أن المناقشة في هذه المسألة لا طائل تحتها لان الآراء تنبعث عن وجهة التفكير فلنقتصر اذن على القول بأن سير العالم الاسلامي يتدرج نحو انحلال أفكاره الدينية وزوالها وذلك أمر طبيعي ممكن التحقق ، أما فرض تدرج المسلمين في اعتناق المسيحية فخارج عن حد الامكان لان المسلم كالمسيحي واليهودي لا يجذبه التعليم العصري الى الاعتقادات الدينية

ولكننا نعود فنقول انه مهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المبشرين من حيث الشطر الثاني من خطتهم (الهدم) فان نزع الاعتقادات الاسلامية ملازم دائما للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية . والتقسيم السياسي الذي طرأ على الاسلام سيمهد السبيل لاعمال المدنية الاوربية ، اذ من المحقق أن الاسلام يضمحل من الوجهة السياسية وسيكون بعد زمن في حكم مدنية محاطة بالاملاك الاوربية .

قد يظهر لاخواننا المسلمين أننا نتصرف في مستقبلهم بحرية وعدم تكلف ، ولكن من منهم ينكر أن العالم الاسلامي أصبح هدفا لغلطات فتيان جمعية الاتحاد والترقي الذين ورثوا عبد الحميد واستعانوا بوسائله السياسية بعد أن خلعوه ، ولم تكن أمامهم وسيلة لانفاذ السلطنة العثمانية والخلافة الاسلامية غير تنظيم حكومة مؤلفة من ولايات اسلامية متحدة ، وكل وسيلة غير هذه كانت لنتيجة لا بد منها وهي تقسيم المملكة؟

اننا لم نكن نرمي الكلام على عواهنه وما كنا نقصد غير تقرير حقيقة راهنة ، عندما نبهنا المسلمين من قراءة مجلتنا — قبل احتلال طرابلس الغرب بستة أشهر — الى ما تخبئه الايام للاستانة التي ستقع بين مخالب ألمانية وروسية

ان ارساليات التبشير البروتستانية الانجلو سكسونية تملق أهمية كبرى على الطرق الجديدة التي تظهر بها العالم الاسلامي وقد رأينا أن نذكر مهمة ارساليات التبشير الالمانية لما عقد بينها من الاواصر والروابط في مؤتمري سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩١١ ولم يبق ارتباطهما مقتصرا كسابق عهده على تناوب كرسي الاسقفية البروتستانية في بيت المقدس

وليس من المستغرب ونحن نبدي اعجابنا بأعمالها أن نلح بمزاحمتها ومسابقتها ، خصوصاً وان السيطرة على أهم الاسواق البشرية صارت متوقفة على هذه المزاحمة والمسابقة ، وكنا نود لو كان في الوقت متسع لبسط القول وايضاح مجرى الامور في هذه المسألة بحذافيرها لانها جديرة باهتمام رجال فرنسة بلا اضاعة وقت ، الا أننا اضطررنا الى الاقتصار على جمع بعض أمور وقفنا عليها وسنينها هنا بقدر الامكان

ونحن نكتفي بعرض هذه الامور من غير تعليق عليها لاننا اقتطفناها من مؤلفات وفصول شتى ونظمناها على الترتيب المتبع في مثل هذه الظروف ، وان المسألة التي نبحثها سوف تتبدد شكوك ذوي البصيرة والروية لدى اطلاعهم على ما نعرضه أمام أنظار قراء مجلة العالم الاسلامي

ونؤمل من ذوي الشأن في ارساليات التبشير البروتستانية أن لا ينكروا علينا انتهاج هذه الخطة التي هي خطة محللنا ، وهم أعلم الناس بمواطئنا وشعورنا نحو عملهم الذي لا يمكننا أن نذكر أهميته الا مقرونة بالمحاسنا في ذكر الضرورات التي تقتضيها السياسة الفرنسية الوطنية لاجل تحول مجهوداتنا الى التعليم التابع لطريقة المدارس الجامعة الفرنسية وذلك أشد العوامل تأثيرا على بلادنا للدخل في حلبة المسابقة لنشر التعليم العقلي

(٢)

﴿ تاريخ التبشير ﴾

اقتصرت مجلة العالم الاسلامي في هذا الفصل على تلخيص كتاب (مشروع التبشير) الذي ألفه المستر (ادوين بلس) البروتستاني ثم أعاد طبعه قبل عشر سنوات فزاد عليه زيادات أخرى وسماه (ملخص تاريخ التبشير) ذكر فيه تاريخ ارساليات التبشير البروتستانية على اختلاف نزعاتها منذ نشأتها في القرون الغابرة الى تاريخ الطبعة الثانية لكتابه ، مع بيان ما بين هذه الارساليات من ارتباط وتضامن

ثم قالت : « ان هذا السفر نفيس في بابه ينبغي لقارئه أن يقف على حقيقة أعمال الارساليات البروتستانية في بلاد الاسلام حتى أواخر القرن التاسع عشر ، الا أننا نأخذ على مؤلفه عدم اشارته الى الارساليات الكاثوليكية وهذا موضع الضعف في كتابه بل في أعمال ارساليات التبشير جميعاً على اختلافها ، ولو كان المبشرون الكاثوليك والبروتستان الذين يجتمعون في بلاد اسلامية يتنبهون الى أن انقسامهم يحط من قدرهم ويقلل هيبتهم بوطد أركان الاسلام لكانوا على الاقل يوهمون الناس بأنهم متفقون ظاهرا ، خصوصا وان انقسامهم هذا يمهد للاسلام السبيل لاستعداد مبادي الحضارة من ارساليات المبشرين من غير أن يقتبس أفكارها الدينية ، ولا ريب ان نخبة الاذكياء المسلمين في مصر وسورية — عند ما يقفون على هذه التفرقة الموجودة بين الارساليات الكاثوليكية والبروتستانية والعلمانية التي تجاهل كل منهن الاخرى —

لا يترددون في الحكم على مذاهب النصرانية بأنها قد فقدت التوازن بالرغم من الخدم التي تأتي بها الحضارة الاوربية

واستأنفت المجلة بعد هذا الاستطراد كلامها على كتاب المستر بلس فقالت : انه ينقسم الى قسمين الاول في تاريخ التبشير العام وطرائقه ، والثاني في وصف موقف الارساليات البروتستانية وأعمالها في البلاد الاسلامية

ويقول المؤلف ان تاريخ التبشير المسيحي يرجع الى صدر النصرانية وبدأ أمسها ، وذكر الذين قاموا بوظيفة التبشير بالنصرانية في القرون الوسطى فقال ان (ريمون لول) الاسباني هو أول من تولى التبشير بعد ان فشلت الحروب الصليبية في مهمتها . فتعلم (لول) هذا اللغة العربية بكل مشقة وجال في بلاد الاسلام وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة

وذكر المؤلف في الفصل الثالث المبشرين الكاثوليك والدور الذي لعبوه في ثورة (البوكسر) الصينية وتداخلهم في شؤون القضاء ، وهنا انتقدت مجلة العالم الاسلامي الكاثوليكية على هذا المؤلف البروتستاني اقتصاره على ذكر تاريخ المبشرين الكاثوليك في ثمان صفحات فقط وقوله ان المسلمين ينظرون الى الطقوس والاحتفالات الكاثوليكية باشمئزاز . ووصفت المجلة هذا القول بأنه لا يشف عن محبة مسيحية .

وفي الفصل الرابع وصف المؤلف تنظيم ارساليات التبشير في القرون الوسطى في الهند وجزائر السند وجاوه واختلاط المبشرين بالمسلمين منذ ذلك الحين ، وأشار الى (برهلنج) الذي احتك بمسلمي سواحل أفريقية والى اهتمام هولندة بالتبشير في جاوه في أوائل القرن الثامن عشر حتى قسمت جاوه لهذه الغاية الى مناطق لكل منها كنيسة ومدرسة ، وقال ان عدد الذين تنصروا فيها سنة ١٧٢١ بلغ ١٠٠٫٠٠٠ وكان عدد النصارى في سيلان سنة ١٧٢٢ — وكانت يومئذ تحت سلطة هولندة — يبلغ ٤٢٤٫٠٠٠ وتساءل عما بقي منهم الى الآن ، وقال ان المسلمين كانوا فيها قليلين فصاروا الآن فئة كثيرة

ثم ذكر تحريك البارون (ده وينز) ضمائر النصارى سنة ١٩٦٤ الى تأسيس مدرسة كلية تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحي تعلم فيها لغات الشرق للطلاب الذين يناط بهم أمر التبشير ، فارتأى أحد أحبار الكنيسة أن تعهد الى الاروام مسئولية تبشير الاتراك ثم فشل البارون في مشروعه

ثم سرد المؤلف تاريخ تنظيم الارساليات البروتستانية من دنمركية وانكليزية والمانية

وهولندية واتصال بعضها ببعض وما كان من مساعدة فردريك الرابع وكرستيان السادس ملكي الدانمرك وحكومة هولندة وتأييدهم لاعمالها في القرن السابع عشر وما بعده في كل أقطار العالم

وانتقل الى البحث في أعمال هذه الارساليات في القرنين الاخيرين فقال : ان المستر (كاري) هو الذي فاق أسلافه في مهنة التبشير فدرس لغة اللاتين واليونان والفرنسيس والهولنديين والسبرانيين كما تعلم كثيراً من العلوم ، ولما نشر كتبه في التحريض على التبشير قوبلت بالاستحسان ففتح له باب الاكتتاب وذهب الى الهند لهذا الغرض وصارت الاموال ترسل اليه ثم طلب أن يرسل اليه ناس يؤازرونه في التبشير فتأسست سنة ١٧٩٥ (جمعية لوندرة التبشيرية) وسرعان ما تأسست جمعيات على شاكلتها في « اسكوتلندة » و « نيويورك » وانتشرت هذه الفكرة في ألمانية والدانمرك وهولندة والسويد ونروج وسويسرة وغيرها وتعذر على الفرنسيين أن يقوموا بشيء من هذا القبيل لانشغالهم بالثورة التي آلت الى الانقلاب المشهور

وتأسست جمعيات فرعية كثيرة مثل (جمعية التبشير في أرض التوراة العثمانية) وبلغ الشغف بهذا العمل أن أسست (ارساليات تبشيرطبية) لتلحق بالارساليات العامة فنجحت نجاحاً باهراً لذلك أخذت تنمو وتزداد وتألفت لها أقسام نسائية وأرسل بعضها الى الهند والانضول

وفي سنة ١٨٥٥ تأسست جمعية (الشبان المسيحيين) من الانكليز والامريكان ووظيفتها ادخال ملكوت المسيح بين الشبان ، وعقد تلاميذ المدارس النصرانية في (نورثفيلد) مؤتمراً اجتمع فيه ٢٥٠ مندوبا عن ٨٠ مدرسة تكلفت بتقديم ١٠٠ شاب للتطوع في نشر الدين المسيحي ، ومن هؤلاء تألفت (جمعية الشبان المتطوعين) للتبشير في البلاد الاجنبية

ويقول المؤلف انها لعبت دوراً هاماً في تبشير المسلمين على الخصوص ! لان شعارها كان نشر « الانجيل بين أبناء الجيل الحاضر » ثم تبع ذلك تأسيس جمعيات التبشير في كل بلاد البروتستان . وفي سنة ١٨٩٥ تأسست (جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين في العالم) وهي تهتم بدرس أحوال التلاميذ في كل الاقطار وبث روح (المحبة) بينهم

فالتحق بها ١٠٠٤٠٠٠ طالب وأستاذ يمثلون ٤٠ قوما ، فتولد من وجود هذا العدد العظيم ميل الى الانتفاع به ولذلك تأسست سنة ١٩٠٢ (جمعية تبشير الشبان) ومن وظائف هذه الجمعية الاخيرة استمالة النساء والبنات والشبان والطلبة الى استماع صوت المبشرين . ثم تقرر سنة ١٩٠٧ أن تؤسس جمعية أخرى لتبشير الكهول وقد تأسست بالفعل وأخذت تباشر أعمالها وترفع التقارير بهذا الشأن

هذا ملخص القسم الاول من كتاب المستر (بلس) فيما يتعلق بتاريخ ارساليات التبشير وأعمالها في بلاد الاسلام . وأما القسم الثاني فخاص بذكر مراكز تنظيم هذه الارساليات وادارة أعمالها في كل قطر على حدة . والى القارئ ملخص هذا القسم :

﴿ أفريقية ﴾

قال المستر (بلس) : ان الدين الاسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقية . والمسلم وحده هو العدو الالد لنا لان انتشار الانجيل لا يجد معارضاً لا من جهل السكان ولا من وثنيتهم ولا من مناضلة الامم المسيحية وغير المسيحية وليس خصمنا هو العربي الذي يرتاد البلاد للاتجار بالرقيق — لان هذه التجارة صارت صعبة — بل ان هذا الخصم المعارض هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في أفريقية أكثر مما هو كذلك في فارس . فالشيخ أو الدرويش يجوبان شواطئ البحر الاحمر والنيجر ومراكش وواداي ويبثان في الاهالي أن المهدي ينتظر ظهوره وسينشر الاسلام في كل الاقطار . وقد ظهر مهدي منذ سنين فحارب الانكليز ثم توفي فتولى الامر بعده خليفة غلب على أمره

أما الشيخ السنوسي العدو الالد للنفوذ الفرنسي والانكليزي فله تقاليد أخرى . ويقول المستر (بلس) ان طلبة الازهر يعتقدون بالمهدي . وأما المراكشيون فلا يزال يدور في خلدهم امكان الجهاد وهو يرى أن الملحمة الكبرى بين أوربة والاسلام ستنشب في غربي أفريقية أو في شماليها . ولا ينبغي أن نستدل على حقيقة هذه الملحمة المنتظرة بالقتال الذي حدث في السودان

دخل المبشرون الكاثوليك ربوع أفريقية منذ القرن الخامس عشر (أي في أثناء الاكتشافات البرتغالية) وبعد ذلك بكثير أخذت ترد إليها ارساليات التبشير البروتستانية من انكليزية وألمانية وكذلك ارساليات التبشير الفرنسية

ولم تهتم جمعية الكنيسة البروتستانية بالتبشير في أفريقية الغربية الا منذ سنة ١٨٠٤ حيث تعاضدت ارساليتها وانكفأت على الكونغو ، وهذه الجمعية تقاتل الآن بمؤازرة الاسقف (صموئيل كروثر) الزنجي سلعلة الاسلام المتدفق في النيجر وأفريقية الغربية . وفي سنة ١٨١٩ اتفقت هذه الجمعية مع الاقباط والفت في مصر ارسالية عهدت اليها بنشر الانجيل في أفريقية الشرقية وقررت ارسال مبشرين الى الحبشة ولكنها فشلت على أثر المناظرة بين اليسوعيين والبروتستان . ثم أخذ المبشرون السويديون والانكليز يرتادون غربي أفريقية وتبعهم مبشرو المدرسة الجامعة فبعثوا مدينة (منبسة) ثم عززت ألمانية ارساليتها عقب اتساع مستعمراتها لكن سرعان ما ظهرت المنازعات بين الكاثوليك والبروتستان وكان أهم ذلك في (أوغندة) بين مبشريها الوطنيين والرهبان البيض الذين ألف ارساليتهم (الكاردينال لافيجري) (١)

وتوافد المبشرون على أفريقية الوسطى عقب بعثة (لفنستون) و (ستانلي) سنة ١٨٧٨ فاقتسموا مناطقها مع اختلاف جنسياتهم بين ألماني واسكتلندي وانكليزي وموراني وهؤلاء انتشرت ارسالياتهم دون انقطاع من شرقي افريقية الى أواسطها حتى الخرطوم والحبشة وبلاد الجلا . وجاءت هذه الارساليات بنتائج حسنة

أما بلاد المغرب فلها مبشرون خاصون بها ترسلهم (جمعية تبشير شمال أفريقية) وهم منتشرون في مراكش والجزائر وتونس وسائر بلاد الغرب ومنهم المبشرون والاطباء التابعون لهم . ولقد شاع ان ذوي الامر في فرنسة وايطالية حاقدون على رجال التبشير الا أن حاكم الجزائر طمأن بال الاسقف (هارتزل) في الايام الاخيرة وصرح له بأنه ينظر الى أعمال المبشرين بعين الاستحسان

وقبل الانتهاء من الكلام على أفريقية لا ترى بدا من الاشارة الى جزيرة مدغشكر التي يقوم فيها المبشرون البروتستان بخدمة مهمتهم بكل جد ونشاط

﴿ آسية الغربية ﴾

كان للمبشر (هنري مارتين) يد طولى في ارسال المبشرين الى بلاد آسية الغربية فبعد أن أقام في الهند مدة عرج على فارس والبلاد الشهانية وتوفي سنة ١٨١٢ وهو

(١) (المؤيد) هو الذي كان طعن على الاسلام في مسألة الرق فألف سعادة احمد شفيق باشا كتابا بالفرنسية رد به عليه وترجمه سعادة احمد زكي باشا الى العربية باسم (الرق في الاسلام)

الذي ترجم التوراة الى الهندية والفارسية والارمنية ومن بعده أخذت ارساليات التبشير تشد الرحال الى الانضول وفلسطين واتخذت لها مراكز في أزمير والقسطنطينية وبيت المقدس وتصدرت للتبشير في صفوف النسطوريين على حدود فارس والسلطنة العثمانية وفي صفوف اليعقوبيين في ما بين النهرين . وفي مقدمة هذه الجمعيات لجنة التبشير الامريكية الا أن جمعيات اليهود الانكليزية سبقتها الى بعض البلاد العثمانية مثل أزمير والاستانة وسلانيك فافتتحت فيها مدارس دينية ومعابد . ومنذ سنة ١٨٤٩ أخذت ترد ارساليات أخرى على هذه البلاد فقسمتها الى مناطق وأصابت لجنة التبشير الامريكية منطقة قبائل النصيرية في سورية فأخذت على عاتقها تنصير هذه القبائل وذهب قسم من هذه الجمعية الى بلغاريا لينفذ خطته هناك

ولما حدثت حوادث سنة ١٨٦٠ في سورية توجهت الانظار الى جبل لبنان وبعد عشر سنوات انتشرت لجنة التبشير الامريكية في البلاد العثمانية عدا سورية . وعلى أثر تأسيس الكنيسة البروتستانية في الآستانة سنة ١٨٤٦ صارت الآستانة مركزاً عاماً آمناً لاعمال المبشرين ؟ !!

أما موقف الحكومات الاسلامية أمام ارساليات التبشير فكان يختلف باختلاف البلاد . فالقبائل المستقلة في بلاد العرب عدوات لدودات للمبشرين ، وبلاد الفرس سائد فيها نفوذ روسية . والسلطة الاسلامية في القطر المصري اسمية فقط . وكانت الحكومة العثمانية تبدي ضروب الاستبداد نحو المبشرين على اختلاف مذاهبهم بسبب الدور السياسي الكبير الذي يمثله نفوذ المبشرين على مسرح المسألة الشرقية . وكانت معاملة الحكومة العثمانية للمبشرين تحسن بواسطة سفراء الولايات المتحدة

وقد اجتهد المبشرون في ترجمة الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) الى كل لغات الشرق بأسلوب سهل يتسنى فهمه لكل الطبقات

وأكبر ما يثير قلق المستر (بلس) مؤلف هذا الكتاب هو الدور الذي ستقوم به الدولة العثمانية في الحوادث المقبلة !. . . مادامت أنظار القبائل السنوسية الشديدة البأس متجهة نحو السلطنة العثمانية التي يحكمها أمير المؤمنين وفيها بيضة الاسلام . ومثل السنوسيين الامم الاخرى البعيدة عن الاستانة مثل بخارى وخيوة والهند والبلاد الاسلامية الشاسعة

﴿ الهند ﴾

انتشرت ارساليات التبشير في الهند عقب ارسالية (جمعية لوندرة التبشيرية) التي

قام بها (كاري) ثم تبعتها الارساليات الامريكية والاسكوتلندية والهولندية والنروجية وكلها تؤدي وظيفتها بنشاط وتقوم بأعمالها بكل دقة

وكان كل هؤلاء في بادي الامر قد وقعوا في الحيرة ، لانهم لم يعلموا بمن يبدأون التبشير، وهل يسهل بث النصرانية في البرهمي أو المسلم المتنور أو الهندي العامي !

ثم اهتدوا الى التقاط الاطفال الذين يعضهم ناب الفاقة والفقر وجعلوا يحسنون اليهم ويستجلبونهم نحوهم

ومؤتمر التبشير الذي عقد في (شيكاغو) قرر أن ينظر في وسائل تعميم التبشير في الهند ونشر النصرانية وتفسير تعاليمها بين كل طبقات الاهالي

﴿ جزائر الملايو ﴾

يوجد في شبه جزيرة الملايو وجزائرها المجتمعة عقائد ونزعات سقيمة لان اهل هذه البلاد اعتنقوا الاسلام في القرن الثالث عشر ومزجوا به ما علق بهم من عقائدهم القديمة ثم اقتبسوا شيئا من مذهب الكاثوليك عقب ظهور البرتغاليين ومن مذهب البروتستان بعد استيلاء الهولنديين على هذه البلاد والهولنديون أبدوا قسوة وعدم تسامح في القرون الوسطى في نشر عقيدتهم وفي هذه الايام ذهبت ارساليات كثيرة الى الملايو لتبشيرهم بالنصرانية

﴿ الصين ﴾

في هذه المملكة مسلمون كثيرون بعددهم قليلون بالنسبة الى مجموع سكان البلاد وتاريخ ذهاب ارساليات التبشير الى الصين يرجع الى سنة ١٨١٣ ولما افتتحت الثغور الصينية بعد ذلك انتشر فيها المبشرون والاطباء والممرضون التابعون لهم انتشاراً هائلا واتسع نطاق أعمالهم وجاء بثمرات كثيرة (يتلى)